

I- نشاط المنظمة

1- معالم الحضارة العربية والإسلامية في إفريقيا

بقلم الدكتور محيي الدين صابر

(القى الدكتور محيي الدين صابر ، المدير العام
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بحثاً في المؤتمر
العالمى بتاريخ الحضارة العربية الإسلامية الذى نظمته
وزارة التعليم العالى فى دمشق فى الفترة : 20 - 26
أبريل 1981 ، نقدم خلاصته .)

السائد الذى أعطى لإفريقيا طابعها الحضارى المميز ،
فلم يحدث لها مثل هذا التأثير الجماعى الذى تعرضت
له الحضارة العربية الإسلامية من قبل ، على امتداد
تاريخها الطويل . وقد ظلت المستقرات العربية منتشرة
فى إفريقيا وفى الجزر المتصلة بها ، حتى جاء الاستعمار
الأوروبى ، الذى قاومه العرب على شواطئ إفريقيا
الشرقية بصفة خاصة قروناً ، وحين طمع الأوربيون ،
فى استغلال الموارد الطبيعية فى داخل إفريقيا ، بعد
أن أدى استغلال الموارد البشرية ، عن طريق تجارة
الرقيق الذى مارسوه بوحشية ، دوره الاقتصادى
تعرضت القارة لهجمة خربية كبيرة ، بلغت ذروتها
فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل
القرن العشرين . كانت القوة التى وقفت فى وجه
الغزو الإجنبى ، هى القوة العربية الإسلامية ،
وبرزت أسماء ثوار من العلماء ، فى غرب إفريقيا ، مثل
الحاج عمر تالى ، وفى وسطها مثل عثمان دان فوديو ،
وفى شرقها مثل الشيخ عبد الله الحسن فى القرن

المسلّة بين العرب والإفارقة تدببة ، قدم المناصب
العربية فى الجزيرة وما حولها ، وقدم القارة الإفريقية
نفسها ، فكانت هناك طرائق اتصالات طبيعية ، البحر
والصحراء ، اللذان تملك العرب وسائلهما منذ قديم ،
فلم تعد هناك عوائق فى الاتصال البشرى المباشر ،
والاختلاط المبكر بين الإفارقة والعرب . فالاختلاط
البشرى بينهما سبق ظهور الإسلام بكثير من الزمن
فى تعامل تجارى وفكرى وسياسى .

وجاء الإسلام ، فتغير مضمون هذا اللقاء واتخذ
طابعاً عالمياً ، ودخل الإسلام إلى إفريقيا سالماً ،
وتلقاه الإفريقيون ، واسهموا فيه أسهاماً واسعاً ،
فعملوا على نشره ، والدفاع عنه ، واشتركوا فى
الانتاج الفكرى الإسلامى ، فى جامعاتهم ومؤسساتهم
العلمية ، عن طريق علمائهم ومفكرينهم ، وتبنوا
كل مظاهر الحضارة العربية الإسلامية فى فنونهم ،
وفى نمط حياتهم الاجتماعية ، وفى نظمهم السياسية .
وظل هذا الوجود الإسلامى ، هو الوجود الحضارى

الافريقى الذى تراكم خلال قرون طويلة من انتاج العلماء الافارقة ، واهمال ذلك التراث وحجبه عن الافريقيين .

وانه من حق الافريقيين اليوم ان تعاد الصلة الفكرية والثقافية بين العرب والافارقة ، ليتعرفوا على تراثهم وانتاجهم الفكرى ، ومسؤولية العرب في هذا كبيرة .

وامتداد للنضال بين قوى التحرر العربية والافريقية من اجل الاستقلال نشا تعاون وثيق بين العرب والافارقة ، في المجالات الاقتصادية والسياسية في اطار المنظمات الاقليمية والدولية وفي النطاق الثنائى وهو تعاون ينمو يوما بعد يوم . ومع هذا فان العون الثقافى وهو الذى يزد مع الزمن ، لانه الاستثمار في الانسان ، ينبغى ان يعطى اولوية خاصة في نطاق خطة التعاون العربى الافريقى ذلك ان العون الثقافى هو عون له هوية وشخصية وتعبير انسانى ، اما العون المادى فمع اهميته فانه يمكن ان يأتى من اى مصدر عالمى ، آخر . وحتى في مجال العون المادى العربى الافريقى ينبغى ان يكون هناك مجال لتفاعل الاجتماعى والانسانى ، وذلك بجعل الخبرة العربية الفتية والمعونة الثقافية موصولتين ، بقدر الامكان ، بوجود التعاون المادى او جزء من ذلك التعاون .

كذلك فانه ينبغى ان تكون هناك توعية للافارقة وللعرب معا ، بالدور الايجابى وبالاضافة التى قدمها العلماء والافارقة الى الفكر العربى الاسلامى .

ومن وسائل ذلك ، نشر المخطوطات الافريقية العربية والمكتوبة في اللغات الافريقية بالحرف العربى ، ووضع القوانين ، واجراء البحوث حول العلاقات الافريقية العربية وتصحيح التاريخ المشترك الذى شوهه الاجانب واعادة النظر في المناهج الدراسية ، وتوسيع المنح الدراسية والبعثات العلمية المشتركة ، وانشاء اقسام للدراسات الافريقية في الجامعات العربية وفي الجامعات الافريقية للدراسات العربية وانشاء مركز افريقى عربى ، للقيام على هذه المجالات . بهذا نكون قد بدأنا خطوة صالحة في مطلع القرن الخامس عشر لتحرك اسلامى في تجديد العلاقات مع رقعة هي جزء غال على الامة العربية الاسلامية .

الافريقى ، والمهدى ورايح الزبير في السودان الشرقى ، والسنوسية في الصحراء الكبرى ، وفي السودان الاوسط والامير عبد القادر وعمر المختار والامير عبد الكريم في شمال افريقيا ...

وظل الوجود العربى قائما في افريقيا حتى الستينات من هذا القرن الى ان ضمت جزيرة زنجبار التى كان على رأس الدولة فيها حاكم عربى مسلم ، بطريقة مأسوية ، نتيجة لما بته الاستعمار الغربى من سبوم في العلاقات العربية الافريقية ، السى نتجائيا وتكونت منهما جمهورية تنزانيا الحالية التى يشكل السكان المسلمون فيها رغم كل شىء اغلبيية صامتة .

وفي كل هذه الفترة كان العرب جزءا من المجتمع الافريقى المسلم ، ولم يكونوا ليمثلوا عنصرا دخيلا ، وكان الافريقيون كذلك جزءا عضويا في النسيج العربى الاسلامى . ولم يكن امام الاستعمار من قوة حقيقية لمقاومة نفوذه الفكرى والاجتماعى بعد مقاومته العسكرية ، الا القوة العربية الاسلامية . واعتمد الاستعمار على فرض لغته وثقافته ودينه ، على حساب الفكر الاسلامى والثقافة العربية ، واتخذ لذلك مؤسسات المدارس التبشيرية ، التى كانت تعلم اللغات الاوربية ، وتتعد الاطفال الافارقة منتصرهم ، وتغير اسماءهم باسماء مسيحية ، وكان لا بد للاستعمار من الانتظار فترة طويلة حتى تتكون اجيال جديدة وهكذا فصل .

هذا وقد حجب معظم المسلمين ابناءهم عن تلك المدارس ، خوفا على عقيدتهم ، فلما جاء الاستقلال في الستينات ، وجد المسلمون انفسهم متخلفين ، وكان ان جاء على رأس تلك الحكومات الوطنية ، في البلاد الاسلامية ، حكام من الافارقة المسيحيين الذين تعلموا في المدارس الاوربية والذين كانوا يعاونون المستعمرين في الادارة الحديثة ، وفي التنظيم الفنى والتقنى للمجتمع على النمط الاوربى .

هذا وقد ظل الهم الاكبر للاستعمار ، هو ، العمل المنتظم المدرس ، على قطع صلة الاجيال الافريقية بالتراث العربى الاسلامى ، فغير كتابة اللغات الافريقية من الحرف العربى ، الذى كتبت به من قبل ، ثلاثون لغة افريقية لمدة قرون السى الحروف اللاتينية وهذا يعنى القطيعة مع التسهات